

التفسير المختصر - سورة التوبه (٠٩) - الدرس (١١-١٩) : تفسير الآية ١٠٤ ، التوبة.  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٢-٠٨-١٩٩٤

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:  
أيها الأخوة:

الآية الرابعة بعد المائة من سورة التوبه وهي قوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبُلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ﴾  
(الرَّحِيمُ ١٠٤)

سنقف قليل عند كلمة يأخذ الصدقات.

يبدو أن النبي عليه الصلاة والسلام، أقتبس من هذه الآية الحديث الشريف:  
((إن الصدقة لتقع في يده الله قبل أن تقع في يده الفقير ))

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((بادروا بالصدقة فإن البلاء لا يخطاها، ثانياً. ))

ويقول عليه الصلاة والسلام

((صدقة السر تطفئ غضب رب . ))

معنى ذلك؟ إن الإنسان إذا زلت قدمه، أو أرتكب خطيئة وبسبب هذه الخطيئة، حُجب عن الله عز وجل، ماذا يعمل؟.

لو أن إنساناً أخطأ، وكل بني آدم خطاء، وخير الخطاءين التوابين، زلت قدمه، غلبته نفسه، وقع في خطيئةٍ أبيقى مطروداً من رحمة الله؟ أبيقى محجوباً عن الله عز وجل، عندئذٍ تنقام الأمور الإنسانية في زيادة دائماً، إما في زيادة للخير أو للشر.

فهذه نصيحةٌ كريمة، أي أخِ مؤمن يؤمن بالله عز وجل، يقرأ هذه الآية:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبُلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾

((إن الصدقة لتقع في يد الله عز وجل قبل أن تقع في يد الفقير ))

((باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يخطاها ))

((صدقة السر تطفئ غضب رب . ))

معنى ذلك أن الله يسترضى، أما العبد اللئيم لا يسترضى، لكن الله جل جلاله يسترضى، واحد غلط، أساء، أخطأ، نظر، تكلم يبقى محظوظ؟ لا ! معناه جاهل.

الله عز وجل: هو يقبل التوبه عن عباده، لكن التوبه تحتاج إلى ثمن، إذا دفعت صدقةً فيما بينك وبين الله، لا تدرى شمالك ما أنفقت يمينك، تتبعني أن تسترضي الله عز وجل، فإن البلاء لا يخطىء هذه الصدقة، وإن هذه الصدقة تطفئ غضب رب، وإنها تقع في يد الله قبل أن تقع في يد

الفقير.

فالواحد إذا كان على صلة بالله، وهو سعيد بهذه الصلة، ثم حجب، بسبب معصية، أو خطيئة عن غير قصد، لا يبقى مكتوف اليدين، لا، لا يبقى يجتر همومه، ويندب حظه، لا، يتحرك نحو الله عز وجل، لا ملجاً منه إلا إلهه.

يعني لو أن طفل صغير، أمه نبنته، أحياناً الأطفال يتقدمون ويلقيونفسه في أحضان أمه، ويسألها المعدنة، الأم، أم، فالله عز وجل هو أرحم، فالإنسان يسجد ويمرغ جبهته بأعتاب الله عز وجل ويدفع صدقة كي تطفئ غضب الرب، وتؤكّد صدقة مع ربه، في توبته.

الأحاديث الثلاثة، هي تجسد هذه الآية:

### ﴿وَيَاكُحُ الصَّدَقَاتِ﴾

تقع في يد الله، هذا العبد الفقير هو عبد الله عز وجل، أعطيته هذا المبلغ دون أن تعلم أحد بذلك، تتبعي مرضاة الله عز وجل، تتبعي أن يغفو الله عنك أن يسمح لك، أن تتصل به ثانيةً. لذلك: الله أفرح بتوبة عبده، من الضال الوارد، والعقيم الوارد والظمان الوارد، وإن الله يحب التوابين، والتوابين صيغة مبالغة لاسم الفاعل، يعني شديدوا التوبة، كثيروا التوبة، كلما زلت قدتهم يتوبون إلى الله عز وجل.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْطُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣)

(سورة الزمر: ٥٣)

﴿نَبِيٌّ عَبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)﴾

(سورة الحجر: ٤٩، ٥٠)

### ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾

تصور ما في توبة، ما الذي يحدث؟ يحدث الإنسان يقول لك هي هي الله غضبان عليّ، بفجر، الأمور تتفاقم، تتفاقم، كثير، لو ما في باب توبة مفتوح، الإنسان ينتقل من أصغر معصية، لأكبر معصية بصير مجرم، رحمة الله بالإنسان، لو جئتني بملء السماوات والأرض، ذنوب غرفتها لك ولا أبالي، لو جئتني مشياً أتيتك هرولتاً لو تقربت إليّ ذرعاً، تقربت إليك باعاً، لو أتيتني مشياً أتيتك هرولةً إني والأنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إليّ صاعد، أتحب إليهم بنعمي، وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إليّ بالمعاصي وهم أفقري شيء إليّ، من أقبل علىّ منهم تلقتيه من بعيد، ومن أعرض عنّي منهم ناديته من قريب، أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري، أهل زيادي أهل معصيتي لا أقطعهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيهم، وإن لم يتذروا فأنا طبيهم، أبتليهم بالمصائب، لطهرهم من الذنوب والمعايب الحسنة عندي عشرة أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها وأغفو، وأنا أرأف بالعبد من الأم بولادها.

باب التوبة مفتوح أيها الأخوة: بادروا، الله أفرح بتوبته عبده من الضال الواحد، ومن العقيم الوالد، ومن الظمآن الوارد.

إنسان ركب ناقته ليقطع فيها الصحراء، جلس ليستريح، فاستيقظ فلم يجد الناقة، فأيقن بالهلاك، فصار يبكي، حتى أدركه النعاس فأفاق فرأى الناقة، من شدة فرحة، قال يا ربِ أنا ربِك وأنت عبدي غلط النبي يقول:

(( الله أفرح بتوبته عبده من ذلك البدوي بناقه . ))

فذلك، كلمة يلي عنده إحساس رقيق، كلمة يقبل الصدقات هذه الصدقة التي أردت بها، وجه الله، تقع في يد الله، قبل أن تقع في يد الفقير.

(( صدقة السر تطفئ غضب الرب ))

(( بادروا بالصدقة فإن البلاء لا يخطاها ))

الله يسترضي، يسترضي بالتوبة، والصدقة.

قال له آماء لا يسترضون، لذلك:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٤)

هي آية دقيقة جداً:

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُبَيَّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٥)

( سورة التوبة: ١٠٥ )

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم.

**والحمد لله رب العالمين**